رفضته دور النشر الغربية وناشر عربي ترجمه ونشره:

كتاب «شرف ضائع» لنورما خوري والتلفيقات الاستشراقية عن العرب ونسائهم

يحيى القيسي *

■ كنت قد شهدت قبل نحو سنتين ذلك الملف الذي أعددناه في ملحق صحيفة الغد الأردنية «شرفات» عن كتاب نورما خوري «الحب المحرم» الصادر باللغة الإنكليزية، وفي تسمية أخرى «شرف ضائع» وكيف تعامل الناشر الأسترالي مع الكاتبة ونسخ الكتاب بعد اكتشافه أكاذيبها بشأن حقيقة قصته، وهذا ما سأمر عليه لاحقا بالتفصيل، وقد كاد أمر الكتاب يصبح نسيا منسيا، وسحبت نسخه من الأسواق، بل أعيد ثمن الكتاب للمشترين الذين غرر بهم، حدث هذا في أستراليا غير أن أحد الناشرين العرب من سورية واسمه زياد منى قد تبرع مؤخرا بترجمة الكتاب إلى العربية، وإصداره عن دار نشره في دمشق، وقام بتوزيعه على المواقع الإلكترونية أيضا، ولم يكتف بذلك الحماس فحسب، بل كتب مقدمة نارية مدافعا عن الكتاب وصاحبته وساخرا من الأردن و«تخلفه»، و لم يترك لنا من سبيل غير الرد عليه، وتفنيد هجومه المتهافت، قبل أن ندخل إلى عالم نورما وشرفها الضائع الذي حاولت من خلاله أن توهم العالم بأنها قد نجت للتو من «محرقة جماعية» تقام للنساء في عمان وجاءت هربا لتلتجئ إلى الغرب الرؤوف الرحيم...!

ولكن بما أن الموضوع قد تناول قضايا قتل النساء بدواعي الشرف، فإنني أرغب أولا، وحتى لا يتخبط القارىء في الآراء الواردة فيه ويختلط عليه الأمر، في أن أوضح بأنني شخصيا ضد مثل هذه الجرائم التي ترتكب بحق النساء سواء في الأردن أو بلاد الواق واق أو أي مكان في العالم، لأنه لا يحق للمجتمع الذكوري الطابع أن يفرض قوانينه وعاداته وأعرافه بيده، ولا أن ينفذ حكما قاسيا، وغير حضاري، لا يستند إلى الشريعة أو القوانين المدنية لمعالجة مثل هذه الحالات، هذا على افتراض أن النساء وحدهن من يرتكبن مثل هذه الخطايا فما بالكم بالرجال الذين لا يحاسبهم أحد على ما يفعلونه أضعافا مضاعفة في هذا الاتجاه..!

ولكن ما هي الحكاية أصلا؟

تروي نورما خوري الامريكية ذات الأصل الأردني (من إحدى العائلات المسيحية الكركية أصلا أما خوري فهو اسم جدها وليس اسم عائلتها) في كتابها الذي أصدرته عام 2002 في أمريكا عن دار سيمون وشستر تحت اسم «الشرف الضائع: الحب والموت في الأردن» وفي استراليا عن دار راندوم للنشر تحت اسم «الحب المحرم» ما تسميه قصتها الحقيقية، وأنها قد هربت للتو من الأردن إلى اليونان، خوفا من قتلها، (الزمان عام 1996) وهناك انتبذت مكانا في أحد مقاهي الإنترنت لتكتب حكايتها فيه، والتي تدور حول مقتل صديقتها الأثيرة داليا وهي من عائلة مسلمة من جبل الحسين بعمان، بتهمة علاقتها مع ضابط مسيحي يدعى ميشيل، تعرفت إليه في صالون الحلاقة المشترك، ولكن هذه الثيمة المركزية ورغم ما تضمنت من التهويمات والأحداث المفبركة والمرتبكة الصياغة، والتي لا تصمد أمام الواقع الفعلي، إلا أن ردود الفعل عليها كانت كبيرة في الغرب، فلقد عرفت نورما أن تعزف على الوتر الحساس هناك، وأن تخاطب المجتمع الغربي بصورة يريد بالضبط أن يراها عن المجتمع العربي الإسلامي، وهي صورة استشراقية الطابع أساسا، فالمرأة عندنا تقتل للشبهة، ولا يحق لها أن تمارس حياتها الطبيعية أو تقع في الحب، فما بالكم لو كان بين طرفين من دينين مختلفين... ؟

تلك هي الحكاية إذن، والتي استطاعت نورما أن تحشد بسببها التعاطف معها من قبل مئات الألوف من القراء، فقد بيعت 250 ألف نسخة من الكتاب في أستراليا لوحدها، كما وزع في 16 بلدا، ومنحت الكاتبة لأجله جائزة الحكاية التسجيلية أو الحقيقية في أستراليا، وهكذا نالت نورما الشهرة الواسعة خلال فترة قصيرة، وجنت مئات الآلاف من الدولارات، ويقال إن إليزابث تشيني، وهي الابنة الكبرى لديك تشيني نائب الرئيس الامريكي جورج بوش، تأثرت بها وبروايتها وراحت تقيم اتصالات معها بالهاتف والبريد الإلكتروني وتشجعها، وهذا ما حدا بنورما أن تقدم طلبا للجوء لسلطات الهجرة في أستراليا، كما أرفقت نسخا من اتصالاتها تلك بابنة تشيني ، وبعد شهر حصلت على موافقة بالإقامة مع رسالة وصلت إليها من وزيرة الهجرة أماندا فانستون شخصيا.

ولكن «حبل الكذب قصير» كما يقول مثلنا، فقد تصدت د. أمل صباغ الأمينة العامة للجنة الأردنية الوطنية لشؤون المرأة لكشف هذه الرواية وصاحبتها، وعاونتها في ذلك الصحافية الأردنية رنا الحسيني من الجوردان تايمز إضافة إلى جهد الصحافي والكاتب الأسترالي مالكولم كنوكس المحرر الأدبي في صحيفة سيدني مورننج هيرالد، حيث استمرت تحقيقاته نحو 18 شهرا، وخرجت بالعديد من التفاصيل المثيرة عن حياة خوري، وكتابها، ومنها أن الكاتبة من مواليد الأردن عام 1970وغادرته في سن الثالثة من عمرها مع والديها، وأنها تحمل الجنسية الأمريكية وتعيش في شيكاغو منذ عام 1973 وحتى عام 2000، وأنها متزوجة من أمريكي من أصل يوناني هو «جون توليوبولوس» ولديها ولدان منه هما زو، وكريستوفر، ولم يسبق أن عملت في عمان أو عاشت فيها، وقد استطاع الصحافي الأسترالي أن يزور شيكاغو، ويلتقي بوالدة «نورما» وأن يرى صورها هناك في طفولتها، وصور حفل زفافها، وقد عاد بهذه الحقائق إلى صحيفته التي سرعان ما تبنت القضية ونشرت تلفيقات نورما على صدر صفحاتها، ولكن نورما وتماديا في غيها نفت في حوار مع الصحافة الأسترالية أنها عاشت في الولايات المتحدة أو حتى أنها متزوجة ولها أطفال، مشيرة إلى أنها تحتاج بعض الوقت لإثبات ما تقوله، وأعلنت الحكومة الأسترالية حينئذ أنها ستعيد النظر في قرار منح اللجوء لنورما خوري بعد أن فوجئت بأنها ربما منحت اللجوء لمواطنة أمريكية.

المهم أن تداعيات الموضوع أربكت الناشر الأسترالي والسلطات هناك، فقد استضافها التلفزيون واعترفت لاحقا «لا أنكر أنني كذبت. ولكن اعتذر لجميع القراء والناشرين والوكلاء لأنني لم ارو عليهم قصتي الشخصية كاملة».

ولست هنا في معرض العودة إلى التفاصيل التي حدثت وردود الفعل سواء من دار راندوم للنشر التي أتلفت آلاف النسخ، واعتذرت من قرائها، بل طلبت ممن اشتروها أن يعيدوها إليها ويسترجعوا الثمن الذي دفعوه على أساس أنهم قرأوا قصة حقيقية، وقال لاري فندلاي مدير شركة ترانسويرلد وهي وحدة تابعة لمجموعة راندام هاوس جروب ليمتد في بريطانيا للإذاعة الاسترالية «اذا كانت هناك اختلافات خطيرة في الحقائق.. وهو ما اعترفت به.. فكيف نعرف ما هي الأجزاء التي نصدقها».

وعلى كل حال فإنني قبل كتابة هذا المقال رجعت أيضا إلى ما كتب في الصحافة العربية والعالمية عن الموضوع، ووجدت الكثير ممن يقف ضد العمل وما يحتويه مثل: د. بثينة شعبان الوزيرة السورية، والناقدة المعروفة في مقال لها بعنوان «تنامي العداء للعرب في إمبراطورية الخوف» الذي نشرته في صحيفة الحقائق اللندنية، ود. ثائر الدروبي، وموقع أندية فتيات الشارقة الأدبي، وغير ذلك كثير، إضافة إلى من تبرع للدفاع عن الكاتبة دون أن يقرأ الكتاب بل سمع عنه، أو ربما اطلع عليه لاحقا في نسخته العربية، وراح يخلط الحابل بالنابل، فيدين من كتب ضد نورما وكتابها، ويتهم ملف «شرفات الغد» بالردح، ويهاجم ما كتبته د. أمل الصباغ، ودفاعها عن صورة النساء في الأردن، عبر تبنيها لفضح ممارسات نورما اللا إبداعية، والسؤال الأساسي الذي ينبغي أن نسأله هو: هل يحق للكاتب أن يكذب على قرائه، وأن ينقل لهم مجموعة من الافتراءات من أجل صالح قضية معينة؟ وهل الأهداف النبيلة يمكن أن تبرر استخدام وسائل دنيئة؟ نقول ذلك لمن خلط الأمور ببعضها، وصار يصطاد في الماء العكر، وهذا ما فعله الناشر العربي الوجه واليد واللسان...!

ترجمة ركيكة بمقدمة مضللة

أعود إلى مقدمة الناشر وأنقل حرفيا بعض ما ورد فيها مما يستحق الرد أو على الأقل أن يطلع القارئ العربي على «الخطاب التحرري القومي الذي يتعلق بشرف الأمة ومستقبلها» الذي أراد الناشر أن يضلل القارئ به، فقط من أجل التبرير بفعلته: يقول منى:

«عندما سمعنا بصدور كتاب نورما خوري، الشرف المفقود/ الحب المحرم، عما يسمى «جرائم الشرف» التي ترتكب على نحو يومي في الأردن ، لم نتردد لحظة واحدة في وضعه ضمن برنامج النشر، مع أن مادته لا تقع على نحو مباشر ضمن برنامج إصدارات الدار. السبب هو رأينا بضرورة أن يتم التصدي العلني، وعبر كل ما توافر من وسائط لهذه الجرائم التي ترتكب باسم الشرف والعرض والدين .. إلخ. إن الوقوف في وجه هذه الممارسة الإجرامية، وغيرها، التي ترتكب بحق المرأة العربية ضرورة إنسانية، وعلى وقفها ووقف كل امتهان لها يتوقف شرف الأمة وحاضرها ومستقبلها.....

.... وفي رسالة إلكترونية أخرى كتبت السيدة نورما خوري بأنها ارتكبت غلطاً بنقدها الإسلام وطلبت منا تغيير ذلك إلى إدانة للقوى الاجتماعية المعادية للمرأة، مع أنها انتقدت في كتابها التقاليد المسيحية ذات العلاقة، وتركت لنا حق إدخال التغييرات التي نراها مناسبة، وهو ما فعلناه. واستجابة لطلبها تحويل مكافأتها من الكتاب لمؤسسات أردنية غير حكومية معنية بقضية المرأة وحقوقها، قمنا بالاتصال أكثر من مرة ببعض المنظمات ذات المواقع على (الإنترنت) والتي خصصت في الوقت نفسه أمكنة على صفحاتها الإلكترونية لتلك الجرائم ولكتاب السيدة نورما. لكننا فوجئنا بعدم تسلم أي رد منها ما يعكس تخلف عقلي للقائمين عليها وانقطاعهم الحضاري مع هذا العالم ويوحي بأنها أقيمت للاستعراض ولشغل أوقات فراغ القائمات عليه أكثر من أي أمر آخر، ما عني، برأينا، سحب أي مؤهل لتسلم أي مكافأة أو مساعدة.

في الوقت الذي نعترف فيه طوعاً بحق الجاليات العربية في أستراليا وفي غيرها من محطات الاغتراب في اتخاذ الموقف التي تراه مناسبًا دفاعًا عن أعضائها وسمعة مجتمعاتها في وجه الحملات الإعلامية المعادية لهم، إلا ان المحزن المبكي والمضحك في هذا الأمر أن تتعامل بعض الأوساط العربية الإعلامية وغيرها مع موضوع اضطهاد المرأة العربية من منظور وجود أغلاط في جوانب من جغرافية الرواية، وذلك كما فعلت سيدة أردنية، والتي وصل بها التطرف واللاعقلانية إلى درجة التهديد بمقاضاة السيدة نورما خوري .. (لكن علي أي تهمة أو جريمة؟).

ولنفترض أنه لم توجد نورما خوري ولا داليا .. إلخ فهل هذا يعني أن نساء الأردن التقليدي، وغيره من المجتمعات المتخلفة لا تعاني من اضطهاد المرأة وقتلها باسم الشرف المزعوم؟ لا.

لكن اكتشاف جوانب مختلقة في رواية السيدة نورما خوري، وتركيز منظمات وشخصيات نسائية عربية على ذلك، واعتراف المؤلفة الشجاع بغلطها على شاشات التلفزيون في أستراليا، قاد، ضمن أمور أخرى، إلى تهليل القوى المعادية للمرأة وكأن التفاصيل تغير من حقيقة تعرفها كل امرأة عربية، أيا كان دينها أو مذهبها وهي أنها مضطهدة وأن حقوقها منتقصة..

في الوقت نفسه، فإننا نترك الجانب القانوني في قضية كتاب السيدة نورما خوري للقضاء ليقول كلمة الفصل فيه، قانونياً.. هذه القضية لا تقع ضمن دائرة تخصصنا كدار نشر، وليس لنا التدخل فيها. كما إننا لسنا في مجال محاكمة نوايا المؤلفة حيث ليس من بشر يعرف ما في القلوب . . أليس كذلك أيتها السيدات والسادة؟!

من ناحية أخرى فإننا جميعاً نعلم أن أنظمة التخلف العربية توظف التقاليد والعادات البالية لقسمة المجتمع وتأليب فئاته وطبقاته على بعضها بهدف إلهائها عن القضايا الحقيقية التي تواجهها وتعترض مسار تطورها المادي والروحي.

إننا لا نصدق أن حكومة عربية ما غير قادرة على إجبار برلمانها «المنتخب بالتعيين» أصلاً، والذي لا يملك أعضاؤه مجتمعين سلطة تساوي تلك التي يحظى بها مخبر عادي، على فرض قوانين تعاقب القتلة المجرمين، كائنة مسوغاتهم ما كانت، في الوقت الذي تتمكن فيه من فرض اتفاقات خضوع للعدو الصهيوني والتحالف معه، وتَعدُ تأجير أراضيها وسيادتها المزعومة «تحريراً وانجازاً تاريخيًا» يضاف إلى سجلاتها الحافلة بـ«الانجازات» المشابهة من النمط نفسه منذ تأسيسها.

إننا على ثقة بأن كل العرب الواعين يشاركوننا الرأي وأنهم سيتقبلون هذا الكتاب بصدر رحب وعدُه إسهاماً مهماً في قضية الحركة التحررية القومية التي تشكل قضية تحرر المرأة وانتزاعها حقوقها الكاملة أحد جوانبه ليس غير».

لاحظوا معي بعض المقتطفات من المقدمة، وتلك الجمل والعبارات المسودّة الخط والنوايا، فجرائم الشرف بحسب منى ترتكب يوميا في الأردن، وإذا سلمنا بحسبته فمعنى هذا أن عشرات القتلى من النساء كل يوم أي آلاف الضحايا سنويا، رغم أن الإحصاءات الحقيقية تقول بأن الرقم لا يزيد عن 25 حالة سنويا، متمنيا أن نصل إلى أن لا تكون لدينا أية حالة في المستقبل بتضافر جهود المثقفين والنواب والمشرعين، وحماة الحقوق من الدولة والأفراد والمنظمات الإنسانية، حتى لا يتعرض «شرف الأمة وحاضرها ومستقبلها» إلى المساس به ..!!

المسألة الأخرى أن الناشر قد سمح لنفسه بالتدخل في الترجمة، وإدخال التغييرات التي يراها مناسبة، ولعمري هذا الأمر أشد تلفيقا من العمل الأصلي نفسه، فكيف يقوم الناشر بقص ما يراه من الجمل أو إضافتها إكراما لموافقة نورما، وكيف يعرف القارىء العربي حدود ما كتبته نورما أو منى، أليس اللعب بالنص الأصلي والتدخل فيه خيانة، وتزويرا ..؟

لقد أسقط الناشر من الترجمة العربية الكثير من الأخطاء والعبارات التي وردت في النص الأصلي، والتي ربما تنبه القارئ العربي و تدله أكثر على مستوى الكتابة الأصلية، ومقاصدها، على أني أود أن أطمئن القارىء أصلا على تلك الفجاجة في العبارات، وسوء مستوى الترجمة من الإنكليزية، وليقم أي واحد ممن يمتلكون الكتاب بالنسختين، ويعرف اللغتين بمقارنة بسيطة ليكتشف تلك العجالة التي تمت بها، لأن الناشر كما يبدو لنا قد وقع على صيد ثمين، ولم يرد أن يضيعه، فقط لأن الكتاب يسيء إلى الأردن وأهله، ولا علاقة له أبدا بتلك الحماسة المفتعلة التي أبداها لقضايا حقوق المرأة، وذلك أمر واضح في المقدمة لمن رغب في قراءتها بقلب مفتوح، وعقل نير ..!

لاحظوا أن اسم المترجم قد تم إغفاله في النسخة العربية وهذا أمر مستهجن، ورغم أن عادة دار النشر تلك وضع أسماء المترجمين ، وهذا يدل على أن لا قيمة لها أساسا، كما من الواضح تلك الأخطاء الكثيرة في الترجمة، فأسماء الأماكن تبدو مضحكة، ومن الواضح أن من ترجمها لا يعرف شيئا عن الأردن، وربما لم يكلف نفسه أن يسأل أو يدقق في الأمر، فحمامات ماعين أصبحت «حمامات معان»، وقرية الرجيب أصبحت «راغب»، ورواية «وجه الزمان» لطاهر العدوان أصبحت «حقيقة الزمان» لطاهر إدوار، وحديقة زاي هي موطن السنجاب الفارسي، والمقصود «متنزه زي»، وعبارة مثل «بدأت داليا تخمر القهوة، وقمت بسكب الشراب على الكنافة، والمقصود غلي القهوة، وسكب القطر، وترجم الجامعة بالمدرسة فجيهان تذهب إلى المدرسة رغم أن عمرها 22 عاما، وهذا يدل على أنه لا يعرف أن كلمة « school» التي توردها الكاتبة تعني أحيانا الجامعة، ولا سيما في أمريكا، فالكاتبة تكتب بإنجليزية أميركية، ومصطلحاتها المعروفة لذلك المجتمع وتسقط معارفها على شخصيات قصتها الأردنيات، ومن هنا يأتي أحيانا التناقض الصارخ، وعلى كل فإن الترجمة الحرفية المدرسية، تعكس مستوى المترجم الضعيف، ومستوى الكتابة الأصلية أيضا، ولا أريد أن أنشغل هنا في نقد الترجمة والمقدمة عن العمل الأصلي، فهي بحاجة إلى مقال خاص، تاركا للقارئ أن يكتشف بنفسه، مقاصد الناشر السياسية، من وراء عمله هذا، فالأردن برأيه من البلاد المتخلفة، وهو يطعن في برلمانه ومؤسساته، و يربط الأمر قسرا باتفاقية السلام الموقعة، كما أنه يسمي اعتراف نورما بأنها كذبت في كتابها وحياتها أمام وسائل الإعلام «اعترافا شجاعا بالغلط» وأنه لا يريد أن يحاسبها على نواياها لأنه لا يعلم ما في القلوب، ولكن من قال إننا نريد أن نحاسبها على النوايا، أليس كل ما خطته كافيا لأن يدل على ما تريد أن تقوله لنا؟

على كل حال لا أملك إلا أن أستذكر مقطعا من قصيدة الشاعر الإنكليزي الشهير إليوت لتدل على تحمس مني لنورما، وكفانا شر ما يبطن «الأخوة» لنا:

نحن البشر الجوف / يسند بعضنا بعضا

شرف ضائع حقا ..!

أعود إلى الكتاب الذي تبرعت د. أمل الصباغ سابقا بتفنيد بعض ما جاء به من الأخطاء والخطايا، وإذا كانت قد اكتشفت ما يزيد عن السبعين خطأ تتعلق بالجغرافيا التي تناولها الكتاب، وبفهم قاصر باللغة العربية ومدلولاتها، وبالإسلام وتقاليده، فإني سأمر على بعضها هنا، وسأتناول مسائل أخرى تتعلق بالتشويهات المقصودة لصورة المرأة الأردنية سواء كانت مسيحية أو مسلمة، وبتلك الصورة السلبية للرجل، ومعاملته للمرأة، وقد تجاهل معظم من كتب متحمسا للكاتبة أهمية تلك الأخطاء، وقلل من شأنها، فما أهمية أن يمر نهر الأردن بعمان أو لا يمر عنده، المهم أن نورما دافعت عن داليا البريئة وقتلها بداعي الشرف، أقول بأنه حتى لو أن نورما قالت بأن كتابها هذا عبارة عن عمل روائي متخيل، وليس حقيقيا، فإن ذلك لا ينفي تلك التلفيقات التي ارتكبت في نصها بخصوص تشويه الحقائق، فالعمل الروائي في النهاية ليس مستندا على مجموعة من التصورات المسبقة، والأكاذيب، ولكن بما أنها أساسا لم تجنح لهذا الأمر، فلا نملك إلا مناقشتها فيما أوردته من صور، وعبارات يبدو أنها قد اعتمدت فيها على ذاكرة مهترئة عن عمان وأهلها، أو ربما تزودت سريعا ببعض الانطباعات خلال زيارتها القصيرة لعمان لأسبوع واحد خلال عام 2000، وهي على ما يبدو الزيارة الأولى والأخيرة لها منذ غادرت عمان طفلة، فقد قضت معظم فترة التسعينيات كما تقول سيرتها تعمل في مجال الكمبيوتر بشيكاغو، وينقل أحد المقالات عنها أنها كانت مطلوبة قضائيا في ولاية إلينوي، وربما لكل ذلك رغبت في أن تطلق فقاعتها تلك، وتهاجر إلى أستراليا بصحبة زوجها اليوناني وولديها لتبدأ حياة جديدة.

انظروا وتدبروا هنا ما كتبته نورما فهذه مقتطفات من الكتاب كما وردت عن الأردن وأهله في عامي 1995 ـ 1996 أي وقت أحداث قصتها المتخيلة:

النساء المسلمات في الأردن كلهن يلبسن الحجاب ومجبرات على ذلك منذ الطفولة، المرأة في الأردن لا تجرؤ على أن تذهب للمعالجة عند طبيب، بل يجب أن تكشف طبيبة عليها، مخاطر التمرد على الحجاب كبيرة أو سياقة السيارة مثلا، أما الفقراء فكلهم يسكنون في مخيمات للاجئين، من غير المسموح للمرأة في الأردن بأن تجلس على مائدة الطعام ذاتها التي يجلس إليها الرجال في عائلتها، بل عليها أن تنتظر حتى ينهي الذكر طعامهم وتلتقط الفتات، المجتمع الأردني والقانون يحرمان وبشدة العلاقات بين البشر من الأديان المختلفة، شأن معظم النساء الأردنيات لم يكن لنا كنساء أن نتجادل مع الرجال في أسرتينا، المرأة مواطنة من الدرجة الثانية، البدو لا يشكلون سوى واحد بالمائة من الشعب الأردني، ...من هنا جاء الفصل بين النساء والرجال في البيوت الحديثة والمساجد والأمكنة العامة، مع أن وأد البنات والخفاض عادة نادرة في أوساط المواطنين الأردنيين، فلا يزال يتردد صداها بين القاطنين في الصحراء، المرأة عندنا ولدى إنجابها الطفل الأول تفقد هويتها، ويشار إليها أنها أم فلان، لا يسمح لأكثر النساء العزباوات بالخروج من المنزل، في صباح يوم الزفاف يجتمع الرجال ويبدأون موكبهم إلى بيت العروس ليرافقوها إلى الجامع، تذهب العروس إلى صالون التجميل في يوم زفافها مع جميع النسوة، عشر نساء على الأقل، من شهر أيلول (سبتمبر) إلى شهر آذار (مارس) تبدو الحياة معدومة كل يوم جمعة بسبب موسم المباريات الذي يبدو نوعا من العبادة عند الأردنيين، رياح عمان معتدلة ولكنها عاصفة وبقايا من ليالي الصحراء القاسية، والشمس كانت تصارع لتخترق السديم الرملي، وادي رم يبعد دقائق عن عمان، الكويت تحد الأردن ولبنان كذلك، أمسكت بقدر المقلوبة ووضعته في الفرن، دروس ابتدائية للتعلم على الكمبيوتر تستغرق تسعة شهور كاملة، كانت داليا خلال لقاءاتها بميشيل في المطعم تخلع رداء الشاري كي تبدو واحدة من الفتيات المسيحيات، كنا نعتقد أنا وداليا أنه عندما نقبّل رجلا على الشفاه سنحمل، المخاطر التي تنطوي عليها رؤية أحدهم لنا ونحن نستقل سيارة أجرة كانت كبيرة، ومع أننا لم نكن نحب أشقاءنا أو والدينا كنا ندرك موقعهم الأكثر رفعة كآلهة معصومة لا يفترض بها أن تدنو وتختلط معنا، نحن الدهماء، يجب أن أذهب إلى الجامع، تقول داليا لنورما، فربما حكى الشيخ لوالدي أنها لم تحضر إلى الجامع للصلاة، بموجب القانون الإسلامي على غير المسلمين أن يلتزموا بخمسة شروط أولا عليهم أن يدفعوا الجزية، ضريبة رأس من أجل حماية حقوقهم ..، إن أي احترام يمكن أن أكون قد أحسست به تجاه الرجال في هذا البلد أو تقاليده البالية مات مع داليا، الشخص المتهم بإهمال ارتداء حزام الأمان في سيارته بالأردن يواجه عقوبات أشد وأقسى من مرتكب جريمة الشرف، عقوبات جريمة الشرف هي غرامات، القضاة الذكور والمحلفون الجالسون يصغون بتعاطف مع المجرمين ويهتفون للأب في قلوبهم لدفاعه عن التقاليد، التقطت صورة لي مع داليا سرا لأن التقاليد لا تسمح بالتقاط صور للمرأة، داليا لن تحصل على كفن وهو جانب من النهاية القاسية لضحايا جرائم الشرف، 2550 امرأة من ضحايا جرائم الشرف في الأردن وفلسطين عام 1998، يعامل المجرمون كآلهة في السجن ...!

تلك إذن بعض ما أوردته نورما التي من المفترض أن عمرها كان 25 عاما، وكذلك رفيقتها داليا في الأردن، ولم أشأ أن أعلق على أي نقطة مما سبق، بل رغبت في أن يقرأها من يعرف الأردن ومن يجهله لأنها مقولات تدين نفسها بنفسها، ولكن الأدهى من ذلك نظرتها السوداوية عن الرجال، فكل الشخصيات الذكورية سيئة الخلق، ومتسلطة، و معقدة، سواء في العائلات المسيحية أو المسلمة، و ميشيل وحده هو الذي بدا حضاريا، ويعرف كيف يتعامل مع المرأة، والسبب في ذلك أنه درس في الخارج، ويعرف الفرنسية والانكليزية واليونانية، ولهذا فإن هذه الأخلاق كما تقول مرارا مكتسبة من الخارج، وليست قادمة من أردنيته، والطريف في الموضوع أن ميشيل، وهو رائد في الحرس الملكي كما تروي، كان يأتي بلباسه العسكري عدة مرات إلى صالون الحلاقة للجنسين، فتقص داليا له شعره، وهناك تعرفت عليه وأحبته، كما أنه حاصل على شهادة في الحقوق، ويسافر كثيرا سفرا خاصا، و دائما كان متفرغا في البيت أو يذهب إلى المطاعم، وكأنه في إجازة مفتوحة، وهذا أمر غير صحيح بتاتا في الأردن لمن يعرف الانضباط العسكري وتفاصيله عند الجنود فما بالك بالضباط، أما صالون الحلاقة المختلط فتلك من اختلاقات نورما التي تضاف لما ذكرت آنفا.

رسالة قصيرة إلى نورما

أعترف لك بأنني شهدت على قصص مرعبة لنساء قتلن ظلما بداعي حماية الشرف العتيد، وأن الرجال الذكور هم من قتلوا الرجل الفاعل قبل المرأة أيضا، وتلك حكاية أخرى، لقد هزتني كل تلك الحكايات، وجرحت إنسانيتي عميقا، ولكن يا للبؤس إذ أجد نفسي الآن أقف إلى جانب إمرأة ملفقة مثلك لندافع عن قضية عادلة واحدة، أنا أرغب في أن تنتهي تماما، وأنت ترغبين في أن تملأي جيوبك مالا، و الصحف والمنابر حضورا لكي يمجدك المجدون، ويظهرونك بطلة قادمة لتحرير نساء الأردن ..!

أما لعبك الخفي على المسيحية والإسلام فتلك حيلة العاجز الذي لا يعرف عن تلك الوحدة الصلبة، والنسيج المتلاحم شيئا، والذي لن تضعفه همهمات الضالين في أرض الله الواسعة، ولا كيد الكائدين.

نورما أرغب حقا في أن تأتي إلى الأردن طويلا، وتتعمدي بترابه وماء نهره الذي يصعد كل صباح إلى وجدان العمانيين، لعلك تغسلين ما ران على قلبك من السواد ..!

* كاتب من الأردن

نورما خوري (القدس العربي)

الدم و.. النفط

رشاد أبوشاور

■ أحسب أننا لم نكن بحاجة لسماع تحليل خبير اقتصادي، صبيحة الثلاثاء 18 الجاري، في إذاعة الـ BBC، وهو يسوق معلومة عن ارتفاع سعر برميل النفط عالمياً، ثمانية دولارات، وأن هذا يعني أرباحاً صافية يومية للدول العربية المصدرة للنفط، وفي مقدمتها السعودية، مبلغاً يصل 160 مليون دولار!

أي متابع مسيس، يعرف دون أن يكون خبيراً اقتصادياً، بأن تفجر أزمة في مكان ما سيرفع سعر النفط، فما بالك وهذه الأزمة ـ الحرب، تقع على مقربة من آبار النفط في (الشرق الأوسط)؟!

لا بأس، فتحليل الخبير الاقتصادي يدعم وجهة نظرنا نحن عرب (الدم)، بأن تجار النفط العرب، لا يخسرون، رغم تباكيهم على دمنا، وعلى معاناة (الشعب) ـ سواء في فلسطين، أو العراق، أو..لبنان ـ فنحن ننزف دمنا ثمناً للخروج من حالة الانحطاط، ومقاومة للاحتلال، وتلبية لنداء الحرية، وهم بنكباتنا يراكمون أرقاماً في أرصدتهم البنكية، والتي تبدد بسفاهة على كماليات استهلاكية، وأسلحة تصدأ في مستودعاتها، وسياسات إفساد، وتمويلاً لعمليات تخريب في وطننا العربي، وفي بلاد العالم البعيدة، وأرقاماً ميتةً في بنوك الغرب ...

أبناء جيلي ممن عاصروا حرب تشرين عام 73 يتذكرون كيف أن أسعار النفط اشتعلت، وقفزت إلى ما فوق الـ 30 دولاراً، بعد أن كانت في حدود الـ 13 دولاراً...

كان هذا بفضل دم جنود مصر، وسورية، والعراق ـ والعراق المغدور كان أول من يلبي بجيشه ونخوته استغاثات العرب في كل معاركهم ـ والفدائيين الفلسطينيين، الذين خاضوا غمار تلك الحرب ...

دول النفط، وبخاصة السعودية، قدمت القليل القليل من أرباح جنتها من دم الجنود العرب !...

تجار النفط اعتادوا على (الربح) من دم أبناء الأمة، وهم لم يشاركوا بالدم في أي حرب خاضتها أمتنا ضد (إسرائيل).

لقد غطى حكام السعودية ـ نجد والحجاز ـ دائماً، دورهم بالتباكي، وادعاء الحكمة، و..تقديم بعض التبرعات التي هي جزء يسير من أرباحهم في معارك الأمة...

من جديد، وهم يقفون ضد المقاومة في لبنان، كما هو شأنهم مع المقاومة في فلسطين، يعلن حكام السعودية عن تبرعهم بـ50 مليون دولار للبنان !...

يظن حكام السعودية ـ لا ننسى حليفهم نظام مبارك ـ أنهم بهذا التبرع يمكن أن يشتروا (عواطف) شعب لبنان، وأنهم يقومون بعمل يمكن أن يبرئهم من دم شعب لبنان ...

ملايين العرب، والمسلمين، الذين يتابعون بطولات، وتضحيات شعب لبنان ـ لا يغيب عن البال شعب فلسطين المقاوم العريق العنيد ـ قرأوا، وسمعوا، وشاهدوا، مواقف حكام السعودية، المعادية للمقاومة اللبنانية، والتي تغطي المؤامرة الأمريكية الصهيونية الرامية لتدمير بؤر المقاومة في لبنان، وفلسطين، و العراق، وبسط الهيمنة الأمريكية الصهيونية على الوطن العربي ...

كل دولار يضاف إلى أرباح حكام السعودية، منذ يوم 12 تموز (يوليو) الجاري، يوم عملية (الوعد الصادق)، هو من حق شعب لبنان، وبهذه المبالغ المدفوع ثمنها دما، ودمارا، وتضحيات، وبطولات، سيكون بقدرة لبنان أن يعيد إعمار ما تدمره آلة الحرب الصهيونية الأمريكية، دون أن يطلب مساعدة أي طرف في العالم ...

المبالغ الزهيدة التي قدمتها السعودية، وغيرها من دول النفط، هي مستحقات لشعب لبنان، وليست تبرعات، ولذا لا شكر على تقديمها، لأنها (بعض) التعويض عن دم يسيل في الميدان، ولا يقدر بثمن، دم يسهم حكام السعودية، ومصر، ومن يسير في إثرهما، ويواليهما، ويخضع لسياستهما، في إهراقه...

اليوم يتأكد الفراق بين الدم و..النفط، فالدم عربي، والنفط ليس للعرب، ولكنه ضدهم، ووبال عليهم، عائق لتحررهم، هو هكذا منذ رفع القائد جمال عبد الناصر شعار: بترول العرب للعرب ..ولم يتحقق الشعار، وبقي البترول دخاناً يعمي الأبصار، ووسيلة لتكريس التخلف في بلاد العرب، ووقوداً للدبابات، والطائرات، والبوارج التي تصب حممها على رؤوس عرب فلسطين، والعراق و..لبنان!

هذه المعركة التي يصمد فيها أهلنا في فلسطين، والعراق، ولبنان، هي في أحد جوانبها حرب مقاومة للدور التخريبي للنفط (العربي) المسخر ضد مصالح الأمة ...

وفي هذه المعركة لن يغيب عن بال ملايين العرب، وفي مقدمتهم عرب فلسطين، والعراق، ولبنان : أن تجار النفط العرب يجنون ثرواتهم على حساب نزف دمنا العربي، وأن (الرشى) بالتبرع بمبالغ تافهة لن تخدع المضحين بدمهم، رافعي سعر النفط، المعنيين برفع قيمة وقدر الأمة، عن حقوق لا يتسولونها ...

الثلاثاء 18 تموز

بعمامة ياقوتٍ وموّالٍ أخضر

هادي دانيال *

أنا لا أعدُّ
أنا مَنْ يرى.
لا أعدّ الورَى
وأرى أمّةً نَفَرا
بعباءته المرجانْ
وعمامته الياقوت
بموّاله الأخضرَ
أوْ أرى
رئيساً ترجلَّ عن قصره الأغبرَ
وتوغَّلَ مُحتضَناً بينَ من نزَحوا عن خَرابِ القُرى
كانَ مُنتشيَ الروح تغمره القُبُلاتُ
كان هذا الضميرُ الجميلُ
نضراً عالياً غَرِدا
يتلاَمَعُ مُنغمراً بالندى
رافعاً رايةَ الفُقَرا..
قَبْلَ أنْ «يرعدَ الصيفُ» كُنتُ أرى
رئيسين في عزلة الأسْرِ
هذا على صَدْره صَخرةٌ من تَخاذُلِ أمّته
وذلك قَبْلَ وُلوجِ الثرى
كانَ وَهجاً تآكلَ في لجّةِ الأمْرِ كانْ
أوِ أرى
مُدُناً تطلبُ الغَيْثَ
يَغمرُها الغثَيانْ..
.....
يا غبار السكون تَهادى على جزّمة ضَجَرِهْ
يا رماد الضمائرِ في خوذة حائرةْ
لا أبالي بكم
فارحلوا رايةً رايةً
واتركوني
أعدّ خناجركم في ظهور الضحايا
أُواري شظايا المرايا
رمادَ العيون التي اقتُلِعَتْ ذاتَ رؤيا..
....
كأنّ الدماءَ تخثَّرت الآنَ بين عروق حَجَرْ
وكأنّ القمَرْ
يتخثّرُ خلْفَ غيومٍ من الحبر..
كادَ بَياضُ دفاترنا تحتها ينتحرْ..
وأنا أعْمى
أبحثُ عَنْ عينيَّ الآنْ
وكأنّي ذكرى إنسانْ
أكتبُ أمْ أضربُ
أمْ أتفشّى في الجدران؟

في زاوية من روحيَ
صقْرٌ يسألني:
من كسَرَ ج